

مفهوم الزمن في الفكر الفلسفي المعاصر / المفارقات والأسئلة

محمد أعراب- أستاذ باحث في علم الاجتماع -الفلسفة وعلوم التربية
المدرسة العليا للتكنولوجيا-جامعة مولاي إسماعيل –مكناس

Résumé :

Le temps était un concept philosophique problématique, tout au long de l'histoire de l'humanité : les philosophes, depuis l'époque de la philosophie grecque , l'âge médiévale , chez les philosophes de l'Europe occidentale ;ainsi que les philosophes arabo-musulmans ,par exemple Al-Kindi, Alfarabi et Ibn Rochd) et les philosophes des temps modernes et contemporaines, ont menées des réflexions sur les questions et les problématiques évoquées par ce thème.

L'objectif principal de mon article, est de répondre aux questions principales suivantes : comment les philosophes modernes et contemporains ont répondu et traités les questions évoquées par ce concept: - que e que le temps ?peut on le définir et le déterminer d' une façon précise ? Est ce qu'il s'agit d'un temps ou des temps ? Peut-on le mesurer ? Par quelle méthode? Comment peut on distinguer entre les différentes dimensions du temps : ontologique, philosophique, et psychologique Et le temps quantitatif des scientifiques

Mots clés :

- Temps-espace- mesure- scientifique- humain- dimension- intuition- philosophique-
- Abstract

Time is a problematic concept in the history of mankind. Philosophers, from antiquity, to the classical period of Greek philosophy, then to the middle Ages-the Christian and Muslim philosophers (Al-Kindi Alfarabi and

Ibn Rochd) and also philosophers of modern and contemporary times, have led reflections around the theme of time and its paradoxes.

In my article, I aim to answer the following main questions: how modern and contemporary philosophers have answered and dealt with the questions raised by this concept: - what time can we define and determine in a precise way? Is it time or time? Can we measure it? By what method? How can we distinguish between its different dimensions of time: ontological, philosophical, and psychological and the quantitative time of scientists

Keywords :

- Time-space- measurement- scientist- human- dimension- intuition- philosophical-

يعتبر مفهوم الزمن من المفاهيم الإشكالية التي حظيت باهتمام الفلاسفة منذ فجر (المدرسة الطبيعية و"هرقليطس" و"أرسطو" وغيرهم من تاريخ الفلسفة اليونانية قدماء اليونان) واهتم بدراسته فلاسفة في العصر الوسيط، سواء في الغرب المسيحي أو في العالم الإسلامي، حيث عالج علماء الكلام في بداية الأمر مسألة الزمن من خلال مقاربتهم لمسألة حدوث العالم وقدمه، ومسألة بداية العالم والخلق، وغيرها من القضايا الكلامية التي كانت هي محور الجدل والسجال الكلامي عند كل من الأشاعرة والمعتزلة في العصر الإسلامي الوسيط، ثم المقاربة الفلسفية للزمن عند فلاسفة كالكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، وطرحت مشكلة الزمن بشكل مغاير في العصر الحديث والمعاصر، خاصة مع تطور الفكر الفلسفي وظهور اتجاهات فلسفية جديدة، شيدت أنساقها الفلسفية والنظرية انطلاقاً من التقدم الذي شهده الفكر العلمي الحديث والمعاصر، سواء في مجال العلوم الفيزيائية أو الرياضية وغيرها.

الأسئلة التي تطرح بصدد مفهوم الزمن ومفارقاته ' يمكن صياغتها وتقديمها على النحو الآتي/

ما هو الزمن؟ هل يمكن تحديده وتعريفه بدقة؟ كيف تعامل الفلاسفة مع هذا المفهوم عبر تطور تاريخ الفلسفة؟ وفي الفلسفة الحديثة خاصة؟ كيف فكر الفلاسفة في هذا المفهوم؟ وكيف قاربوا أهم أسئلته؟

هذه هي الأسئلة التي سنحاول معالجتها في هذه المقالة ' والتي هي في الأصل 'مداخلة شاركت بها في الندوة الدولية' التي نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس' في مطلع شهر نونبر 2017. وقدمتها باللغة الفرنسية- ومن أجل تعميم الفائدة' وتقريب مضامينها إلى أذهان الطلبة والأساتذة في شعبة الفلسفة' أنجزت ترجمتها إلى اللغة العربية.

أولاً مفهوم الزمن/ المفارقات و_الأسئلة

هل يمكن تحديد وتعريف الزمن؟ وهل للزمن وجود يمكن الإمساك به' والقبض عليه' كما هو الشأن بالنسبة لمفهوم المكان والمجال؟ أم انه يظل مستعصيا على التحديد والتعريف والفهم' ويبقى مفهوما مجردا 'متعاليا ومفارقا؟

عندما لا يسألني احد عن مفهوم الزمن' في هذه الحالة' يمكن لي أن اعرفه. لكن عندما يطلب مني شخص ما' أن اشرح له مفهوم الزمن' فاني في هذه الحالة' لا استطيع أن أقدم له تعريفاً."

هل يوجد موضوع أكثر بساطة من الزمن؟ أليس الزمن هو الأكثر ارتباطا بتجاربنا وخبرتنا؟ ألا يتكرر غالبا في لقاءاتنا وأحاديثنا وخطاباتنا؟ هل عندما نتحدث عن مفهوم الزمن' لا ندري عن ماذا نتحدث؟ وهل نفس الأمر' يحدث بالنسبة لشخص آخر' حينما يتكلم عن الزمن؟

لماذا يظل مفهوم الزمن' يتسم بالغرابة' بالرغم من كونه' يبدو سهلا وبسيطا لإدراكه وتصوره؟

ماذا اعرف عن الزمن؟ كل ما اعرفه عنه' هو وجود ثلاثة أبعاد زمنية' وهي/

الماضي' الحاضر' والمستقبل. انطلاقا من هنا' يمكن لي أن أؤكد و بكل جرأة" إنه إذا لم يحدث' ولم يجري أي شيء' لن يوجد هناك زمن ماضٍ. وإذا لم يقع أي شيء في

المستقبل، فانه لن يوجد هناك أي زمن، سيأتي في المستقبل". وإذا لم يحدث أي شيء في الماضي، فانه لا يمكن للحاضر أن يوجد". لكن ماذا يمكن لي أن أقوله بصدد هذين الزمنين/الماضي والمستقبل؟ إن الأول، لا يوجد الآن، والثاني، لا يوجد أيضا؟ أليس هما مجرد عدم خالص؟ وهكذا فإن الزمن في هذين البعدين، الماضي والمستقبل، يتعذر وجوده. إذن ماذا بالنسبة للحاضر؟

لقد حاولت أن أبرهن، أن الحاضر، هو الزمن الوحيد، الذي يوجد. لكن هل حاضرا، لا يتغير ولا يتحول باستمرار، لكي يصبح مجرد ماضٍ؟ الحاضر لا يوجد دائما حاضرا، انه لن يكون سوى بعدا بوصفه الحاضر، ولن يظل كذلك ولن يستمر. وهكذا، كلما حاولنا أن نعرف ماهية الزمن وان ندرك كينونته، وان نمسك به فكريا، ونعرف حقيقته، اكتشفنا غرابته، لأنه لا يظهر، ولا يتجلى في شيء محدد وواقعي. إن الزمن هو حرمان من الكينونة.

رغم أننا نتحدث عن زمن طويل وآخر قصير، وكان الزمن يوجد وجودا فعليا. فنقول إن مائة سنة تعتبر زمنا طويلا. ولكن السؤال الذي يمكن طرحه بهذا الصدد هو الأتي/ كيف يمكن وصف الزمن، انه بالفعل زمن طويل، رغم عدم وجوده؟ ما هو هذا الزمن الذي يمكن وصفه بكونه طويل؟ هل هو الماضي؟ هل كان طويلا عندما كان في الماضي، أم هو كذلك في الحاضر؟ لا يمكن له أن يكون طويلا، إلا إذا كان شيئا قابلا لان يكون طويلا، عندما أصبح ماضيا، فهو قد أصبح غير موجود.

لكن هل يمكن لزمن حاضر أن يكون طويلا؟ مادام هذا الزمن الحاضر، ما هو إلا انتقال من شيء لم يوجد، إلى ما لم يوجد بعد؟؟ بعبارة أخرى، إن الحاضر قد تم نقله وحمله على وجه السرعة من المستقبل إلى الماضي، والذي ليس له أي امتداد للديمومة. إذن، هل يمكن القول، إن الزمن الوحيد الذي يمكن وصفه بالطويل هو المستقبل؟

ماذا نقيس عندما نريد قياس الزمن؟ لكن هل من الممكن أن نقيس شيئا غير موجود؟ فالماضي والمستقبل لا يوجدان. لهذا فانه يتعذر علينا القيام بقياسه وتكميمه.

ماذا يمكن القول بالنسبة للحاضر؟ كيف يمكن أن نقيسه، مادام ليس له امتداد، ولا يعتبر وجودا حقيقيا، هو مجرد انتقال من لا وجود إلى لا وجود آخر؟ رغم كوننا نقارن فترات زمنية، ونقارن فيما بينها، ونصرح أن زما محددًا طويلًا وآخر قصيرًا؟ ماذا نقيس بالفعل؟ هل نقيس زما في إطار مجال معين؟ في أي مجال، إذن نقيس الزمن الذي يمر؟ هل في المستقبل الذي يصدر منه لكي يمر؟ لكن الشيء الذي لم يوجد بعد، لا يمكن قياسه.

هل في الحاضر الذي يمر ويجري؟ لكن في غياب المجال، لا يمكن القيام بأي قياس.

هل في الماضي الذي سيضيع فيه؟ ولكن، كيف يمكن قياس ما لم يوجد؟

وهكذا نكتشف أن أي تفكير في الزمن، تواجهه عدة مفارقات، سواء كان يتحدد في الحاضر الذي لا يوجد، أو من المستقبل الذي لا يوجد بعد، أو من الحاضر الذي هو مجرد لحظة محدودة وعابرة، وفترة وسيطة بين زمنيين خياليين. إن الزمن يظل أمرا مفارقا، لا يمكن الإمساك به والقبض عليه. إذا كان التحليل، يفضي بنا إلى القول باستحالة وجود الزمن، فإن هذا الأخير ليس له وجود في الواقع. كل ما يوجد، هو إننا نتذكر صور من الماضي تبقى عالقة بالذاكرة، صور نكونها عن واقع ما. "إن زما ماضيا طويلا، هو في الحقيقة مجرد ذكرى للماضي تتصوره طويلا". كما أن تقسيم الزمن إلى ثلاثة

أبعاد/الماضي والحاضر والمستقبل، هو في الواقع، طريقة مألوفة وساذجة. لا يوجد في الحقيقة، سوى زمن واحد، إلا وهو الحاضر. فالماضي والمستقبل لا وجود لهما. إن وجودهما، هو في الحقيقة، وجود على مستوى فكرنا وعقلنا ليس إلا. لهذا لا يمكن لنا القول بوجود الحاضر والماضي والمستقبل. كل ما يمكن قوله هو وجود ثلاثة أنماط من الحاضر/حاضر الماضي - حاضر الحاضر - حاضر المستقبل. وبعبارة واحدة "حاضر الأشياء التي مضت (الماضية) وهو الذاكرة، وحاضر الأشياء الحاضرة، وهي الرؤية-وحاضر الأشياء المستقبلية، وهو الانتظار-

نستنتج من التحليل السابق أن مفهوم الزمن يظل مفهوما متعاليا على كل تحديد دقيق، ويبقى مجردا وغير قابل للإمساك ويستعصى القبض عليه، أنه مفهوم زبني، كلما حول الاقتراب منه، إلا ووقعنا في مفارقات - لهذا يمكن القول أنه مفهوم مفارق وإشكالي، أثار نقاشا وجدلا صاخبا بين الفلاسفة في الفلسفة

الحديث والمعاصرة' كما أثار نقاشا بين جماعة العلماء ' إذن كيف قارب الفلاسفة في العصر الحديث والمعاصر مفهوم الزمن؟ وكيف فكروا في إشكالاته؟
ثانيا -المقاربة الإشكالية للزمن/ الزمن في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر

1-الزمن والحدس عند "برغسون"

يمكن القول ان السمة التي تميز "هنري برغسون" رغم تنوع وتعدد القضايا والمواضيع التي عالجها في جل أعماله-1859—1941 هي كونه رجلا يملك حدسا فريدا يضيء وينير كل أفكاره. هذا الحدس ' يتحدد في كون العلوم الوضعية تلغي وتنفي المدة-وان الزمن الحقيقي ليس هو الزمن الذي يقيسه العلماء' ولكن المدة والزمن الذي نعيشه في الواقع' والذي يعني زمن الوعي-إن العلماء بذلوا قصارى جهدهم' من اجل تصور وإدراك وفهم الزمن' والتفكير فيه- لكن من خلال المكان والمجال' والتفكير في المتصل بواسطة المنفصل' لم يستطيعوا أن يفهموا في وجودهم الواقعي' ان التغير' هو الحياة. إن التفكير في الزمن بطريقة مجردة' هو في العمق تدمير للواقع. ونجد في هذا الصدد' "برغسون" يؤكد قائلا" المدة الخالصة الكيفية' التي تتداخل بدون أي إطار محدد ودقيق' ماهية إلا سلسلة من التغيرات وبدون أي علاقة بالكم والعدد"-من"- أبحاث حول المعطيات المباشرة للوعي"- أطروحة "هنري برغسون' لنيل شهادة الدكتوراه-

كل الظواهر التي تحدث في الكون' وكل الإحداث الإنسانية ' التي تحدث في التاريخ' لها بداية ونهاية. إذن فهي تشكل ما نسميه بالمدة- أو فترة زمنية- والتفكير في هذه المدة الزمنية' يعني بالنسبة للعلماء' القيام بقياسها. لكن قياس الزمن يعتبر مستحيلا' حيث يجب اعتبار الزمن شيئا متماسكا ومنسجما' بمعنى انه يجري ويمر بطريقة منتظمة' ومشابهة لذاتها بكيفية مستمرة. كما انه' إذا كان من السهل قياس المجال والمكان- طول قطعة قماش مثلا- فانه يتعذر علينا قياس الزمن الذي هو مجرد تتابع وتلاحق مستمر.

إذن, كيف يمكن حل هذه المفارقة؟ كيف يمكن ترجمة الزمان إلى المجال؟ وهو الأمر الذي يقوم به العلماء' حيث يعتبرون المتزامتين ' ويفترضون إنهما ظاهرتين تبدعان وتنتهيان في نفس الوقت' ولهما نفس المدة.

لكن ' كيف يؤكد "برغسون" أن الزمن المنسجم والمتناغم هو إبداع وخلق من الفكر؟
إننا في أعماقنا لا نعرف ماذا يحدث في الفترات الفاصلة لهذين المتزامتين.

عندما نقارن الزمن بالمجال أو المكان، ونضفي عليه صفة المجالية، فإننا نقع في عدة مفارقات. لنفرض أن الزمن قابل للقسمة إلى ما لا نهاية، انه في هذه الحالة يصعب علينا معرفة كيف ستمر ساعة زمنية وكيف ستنتهي؟ لأنه لكي تمر ساعة، ينبغي أن تمر نصف ساعة، ولكي تمر نصف ساعة، يجب أن يمر ربع ساعة وهكذا دواليك.

لنفرض أن الزمن يتكون من لحظات غير قابلة للقسمة، سيبتج عن هذا أن الحركة ستكون عبارة عن متتالية من الاحركة-ويستخلص "برغسون" انه لا يمكن قياس الزمن إلا في حالة فقدانه لطبيعته، أي أن يصبح شيئاً غير طبيعي. وخارجاً عن الطبيعة. لان الزمن الواقعي والطبيعي لا يقبل القسمة. إذا كان الزمن لا يقبل القسمة والتقسيم، فما هو الزمن الحقيقي؟ يقول "برغسون" أن الزمن الحقيقي يكمن ويوجد في الوعي المرتبط بالانتظار.

الزمن هو شيء مطلق لا يقبل الامتداد والتقسيم والاختزال أو التحديد، انه شيء لعلقة له بالزمن كما عرفه وحدده العلماء.

ومن اجل التمييز بين الزمن المرتبط بالتجربة المعاشة، والزمن المرتبط بالمكان والمجال، فإن

برغسون" يسمي هذا النوع من الزمن المتعلق بالتجربة المعاشة ويعرفه "بالمدة".

المدة" هي لاتجانس خالص، وهذا يعني أن الزمن الحقيقي لا يمر ولا يجري، شبيها لذاته دوماً. وانه لا يمكن تكميمه أو قياسه. كما انه ليس عبارة عن تتابع وتعاقب للحظات أو عناصر بكيفية مستقيمة، إن الزمن الحقيقي يندمج ويختلط مع مجرى الحياة الواعية، إي مع هذا التدفق للعناصر الامتجانسة، والتي تتداخل فيما بينها، والتي يمتزج بعضها في البعض الآخر.

ثانيا- المستقبل هو المكان الطبيعي للآمل- انه هو القطب الذي يجذب الشجاعة"جان Jankélévitch كيليفيتش"

جان كيليفيتش "هو كاتب متألق وفيلسوف فرنسي وعالم موسيقى (1905-1985) كتب عن " لا اعرف ماذا" و" تقريبا لاشيء" و" حول الجدية والهزل" و" الخالص والخالص" في مظاهره الأكثر مأساوية. يكشف عن الوعي

في كتابه "الرجعة والحنين" يؤكد ان المستقبل هو زمن الحرية كما انه لا يقل
«حساسية

من حيث المستوى الوجودي للزمن وللخبرات والتجارب المأساوية والمترابطة والتميزة كالندم والضجر أو الملل والحزن والحنين. أو على العكس من ذلك كالحماسة والفرح والنشوة. إن اهتمامه الدقيق بكل هذه اللحظات والاتجاهات التي يبيدها الإنسان تجاه الزمن يظهر في قولته الشهيرة "المستقبل هو المكان الطبيعي للآمل" وهو القطب الذي يجذب الشجاعة".

بدون شك أن خاصية "الرجعة" بالنسبة للزمن تبدو بشكل جلي في تجربة الشيخوخة. هذا التغير البطيء الهادئ المستمر لوجودنا الجسدي الذي لا نلاحظه في لحظة ما ولكن بصفة مباغته عندما يحضر الوعي نكتشف أننا هرمننا وأصبحنا نعيش مرحلة الشيخوخة. وماذا نكتشف؟

نكتشف عجزنا وعدم قدرتنا على إيقاف مجرى الزمن وصيرورته. أكيد انه بوسعنا أن تتبع نظاما غذائيا معينا وأن نختار سلوكات معينة لكي نعمل على تمديد أمد حياتنا لكن في النهاية لا مفر من الموت كما يقول "جان كيليفيتش". في تجربة الموت نكتشف أن الزمن غير قابل للتوظيف وفق إرادتنا. إن الزمن يتسم بأنه موجه ويسير في اتجاه معين. وهذا يعني انه لا يوجد سوى طريق واحد إجباري ضروري وملزم.

خاتمة

ماذا يمكن استخلاصه من هذه المقاربة السابقة لمفهوم الزمن عند نموذجين من الفلاسفة وهما "برغسون" و"كيليفيتش" ؟

ما يمكن استخلاصه أولا هو أن مشكلة الزمن تبقى مشكلة فلسفية بامتياز، بمعنى أنها لا يمكن معالجتها إلا في إطار علاقتها بالنسق الفلسفي للفيلسوف، وأطروحاته ونظرياته الفلسفية الأخرى فيما يخص الوجود والإنسان والأخلاق والمعرفة- إن موقف "برغسون" من الزمان لا ينفصل عن موقفه الفلسفي ونسقه النظري الذي يقوم على أساس الحدس والوعي والتجربة. كما أن موقف جان كليفيتش، هو بدوره نتاج لفلسفة الفيلسوف الفرنسي المعاصر، وما يعيشه المجتمع الفرنسي والأوروبي بصفة عامة في إطار التطور التكنولوجي والصناعي والعلمي والعمراني، وما ترتب عن هذا التطور من تأثير على حياة الناس، ومعيشهم اليومي، والقلق المتنامي والشعور بالتوتر وسيطرة العلاقات المادية والنزعات الفردية، وضياح الفرد، مما يجعل الزمن الوحيد الذي يعيشه هو زمن المستقبل الذي يرى فيه الأمل والحلم بغد أفضل.

المراجع

- ✓ -Emmanuel Contamine : guide pour la recherche des idées-la dissertation de la philosophie-
problématiques-références-édition Marabout-Belgique-1995
- ✓ 2- Hervé Barreau : le temps- collection que sais- je ? éditeur : presses universitaires de France- année 2009- ISBN: 9782130575078
- ✓ -3-Bergson .Henri : *Les données immédiates de la conscience*, Henri Bergson, 1888.
- ✓ - 4 - *Matière et mémoire*, Henri Bergson, 1939.
- ✓ les essais de Jean-Pierre Vernant regroupés dans *Mythe et pensée chez les Grecs* (Maspero, 1965) ; de Pierre Aubenque, *Le Problème de l'être chez Aristote*, (PUF, 1962) ; *Du temps chez Platon et Aristote* par R. Brague, (PUF, 1982), *Le Mystère du temps. Approche théologique*, par Jean Mauroux (Aubier, 1962) et divers articles de Henri-Charles Puech rassemblés dans *En quête de la gnose* (Gallimard, deux volumes, 1978) ;
- ✓ . *La Genèse de l'idée de temps*, par Jean-Marie Guyau (avec un liminaire de Thierry Paquot et une introduction de Alfred Fouillé, réédition « Les Introuvables », L'Harmattan, 1998, la première édition posthume date de 1902)
- ✓ les écrits de Gaston Bachelard (*L'Intuition de l'instant*, Stock, 1931 ; *La Dialectique de la durée*, PUF, 1950, dans lequel il aborde la question de la rythmanalyse qu'il emprunte à un auteur brésilien Lucio Alberto Peinhiro Dos Santos et *La Poétique de l'espace*, PUF, 1957, dans lequel il invente la « topoanalyse »).
- ✓ *Arts et métiers, modes, mœurs, usages des Parisiens du XII^e au XVIII^e siècle*, par Alfred Franklin (Plon, 1888), bien documenté, original et souvent anecdotique
- ✓ *Le Traité du sablier*, par Ernst Jünger (trad. franç. Christian Bourgois, 1970, l'édition allemande est de 1954).
- ✓ La vie quotidienne est le thème et le titre d'une collection, lancée en 1938 chez Hachette et si tous les volumes ne sont pas excellents — l'événement prime toujours sur l'analyse —, nombreux valent le détour, par la masse d'informations qu'ils charrient et les comparaisons qu'ils facilitent. Généralement un ou plusieurs chapitres décrivent les différences qui existent entre la quotidien

urbain et l'ordinaire villageois et le lecteur peut toujours y glaner quelques anecdotes. Mais les historiens, à la suite du mésestimé Alfred des sciences de l'homme, 1994)

Les sociologues du travail, et Georges Friedmann en premier, ont pris à cœur d'étudier les temps extérieurs à l'usine, au bureau, à l'atelier, car ils ont constaté lors de leurs enquêtes que les deux temps (celui du travail et celui du loisir) se conditionnent mutuellement, même si le loisir est subordonné à l'emploi. C'est ce que démontre William Grossin dans un ouvrage dorénavant « classique », *Les Temps de la vie quotidienne* (Mouton, 1974). Ses observations des temps du quotidien l'ont amené à fonder une « écologie du temps » (*Pour une science des temps. Introduction à l'écologie temporelle*, Octares éditions, Toulouse, 1996),

/